﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾ [النجم: 59 - 62]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

تكذيبُ القرآن بعد تحقُّقِ وقوع الإهلاك ونفيِ كشْفِ كُرَب القيامة سببٌ للتوبيخ

لمّا أفهَمَ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أنَّ اللّهَ تعالى يكشفُ كُرَبَها عمَّن يُريدُ مِن عِبادِه، ويُثَقِّلُه على من يشاءُ، ويكشفُ علمَها بإقامتِها، ولا حيلةَ لغَيرِه في شَيءٍ من ذلك بوجهٍ؛ سبَّبَ عنه، وعمّا تقدَّمه من الإنذارِ قَولُه مُنكِرًا موَبِّخًا من كذَّب بالقرآن، واستهزأ به، وأعرضَ عنه: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: أصلُ (حدث) هو كَوْنُ شيءٍ لم يَكُنْ، ومنه الحَديثُ؛ لأنَّه كَلامٌ يَحدُثُ منه الشَّيءُ بَعدَ الشَّيءِ[2]، والحديثُ: نقيضُ القديم، والحديثُ: الخبرُ قليلُه وكثيرُه، وهو ما يُحدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحديثًا، واستحدثتُ خبرًا، أي: وجدتُ خبرًا جديدًا[3]، "وكلُّ كلامٍ يبلغُ الإنسانَ من جهةِ السَّمع، أوِ الوحيِ في يقظته، أو منامِه، يُقالُ له: حديثٌ"[4]، ومعنى ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ في الآية: بعضُ القرآن وما جاء فيه من الكلام والخبر؛ إشارة إلى ما ذكر من الإنذار بأخبار الذين كذَّبوا الرسل[5].

2) ﴿تَعْجَبُونَ﴾: أصلُ (عجب) يدلُّ على كِبْرٍ واستِكبارٍ لِلشَّيءِ، وأمْرٌ عَجيبٌ؛ إذا استُكبِرَ، واستُعظِمَ، وشيء مُعْجِبٌ، أي: حَسَنٌ[6]،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 558.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حدث).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (حدث).
(4) الرّاغب، المفردات: (حدث).
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(6) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).

والعَجَبُ: إنكارُ ما يَرِدُ عَلَيكَ لقِلَّةِ اعتيادِه[1]، والعجبُ والتعجُّبُ: حالةٌ تعرضُ للإنسان عند الجهلِ بسببِ الشيء، أو إذا خرجَ بها المتعجَّبُ منه عن نظائره، فالعجبُ هو الشَّيءُ الذي لم يُعرفْ سببه، ولم يُعهدْ مثله[2]، ومعنى العجب هنا: الاستبعادُ والإحالة، أو كنايةٌ عن الإنكار[3].

3) ﴿سَٰمِدُونَ﴾: أصلُ (سمد) يَدُلُّ على مُضيٍّ قُدُمًا مِن غَيرِ تَعريجٍ، ومِنهُ السُّمودُ الَّذي هوَ اللّهوُ؛ لأنَّ اللّاهيَ يَمْضي في أمرِهِ غَيرَ مُعَرِّجٍ ولا مُتَمَكِّثٍ[4]، وسمدَ سمودًا: قامَ رافعًا رأسه ناصبًا صدره، كما يَسمُدُ الفحلُ؛ إذا هاج، وسَمَدَ: غَنَّى؛ لأنَّ المغنّي يرفعُ رأسه، وينصبُ صدره، ومعنى قوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: مستغلظون راكبون رؤوسكم في الباطل، سادرون غيرَ خاشعين، لاهون غافلون، أو معرضون مستكبرون[5]، فرحون بأنفسكم، تتغنّون بالأغاني؛ لقلَّة الاكتراث بما تسمعون من القرآن[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحذيرٌ من إنكارِ القرآن والاستهزاء به والإعراضِ عن مواعظه وحكمه

يقولُ تعالى ذِكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآنِ - أيُّها النّاس - تَعْجبون أنْ نزلَ على محمَّد ﷺ وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون ممّا فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه، لاهونَ عمّا فيه من العِبَر والذِّكر، معرضونَ عن آياته، فاسجدوا لله - أيُّها الناس - في صلاتكم دون مَن سواه من الآلهة والأنداد، وإيّاه فاعبدوا دونَ غيره، فإنَّه لا ينبغي أن تكون العبادة إلّا له سبحانه فأخلصوا له، ولا تجعلوا له شريكًا في عبادتكم إيّاه[7].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (عجب).
(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عجب).
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمد).
(5) حاشية الصاوي على الجلالين، ص: 1885.
(6) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 558.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التعبير بالاستفهام في قوله: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾:

إنكارٌ وتوبيخٌ وتجهيلٌ للمشركين على مقابلةِ الإنذار بالسخرية

الهمزةُ في قوله: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ للاستفهام الإنكاري، داخلةٌ على محذوف استفهام إنكارٍ وقوع العجب منه من المشركين، ثمَّ توبيخٌ لهم عليه وتجهيل؛ لأنَّهم لو كانوا يعقلون؛ لبَكَوا من خشيةِ الله بدلَ أنْ يضحكوا، وهم لاهون فكهون بسخريتهم منه، وإنكارهم لجديَّة ذلك الحديث.

معنى الفاء ودلالتها في قوله: ﴿أَفَمِنْ﴾:

تعجيبٌ من مقابلةِ المشركين القرآنَ المعجز سببُ هزءٍ لا اتِّعاظ وإيمان

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ عاطفة، وهمزةُ الاستفهام مقدَّمةٌ من تأخير؛ لأنَّ لها الصدارة في الجملة؛ إذ الأصلُ (فأمن هذا الحديث)، والمعطوفُ عليه محذوف، والتقدير: أتكذبون نبوَّة محمَّد ﷺ فتعجبون من هذا القرآن الذي أنزلَ عليه[1]، أو هي تفريعٌ على قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، أي: فُرِّع عن وصفِ القرآن، بأنَّه نذيرُ استِفهام إنكارٍ وتَوبيخٍ لمن أنكره[2]، ولو لم يردِ البيانُ القرآنيُّ العطفَ؛ لقال: أمن هذا الحديث؟ إلّا أنَّه أتى بالعطف للتعجيب من جعل المعطوف عليه سببًا للاستهزاء به والسُّخرية منه[3].

معنى (مِن) ودلالتها في قوله: ﴿أَفَمِنْ﴾:

في البيانيَّة إنكارٌ على المشركين، وفي الابتدائيَّة توبيخٌ لهم

(مِن) في الآية بيانيَّةٌ تبيِّنُ موضعَ التَّعجُّب، وهو الذي وقعَ عليه فعل التَّعجُّب، والتقدير: أتتعجَّبون من هذا الحديث، وهو القرآن الكريم؟ وفيها إشارةٌ إلى موضعِ التُّهمة أو الإنكار، أي: كيف يكون التَّعجُّب من شيء بهذه العظمة؟ ويمكن أنْ تُحمل أيضًا على معنى

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 179.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 190.

الابتداء، أي: أتعجبون ابتداءً من هذا الحديث، وكأنَّه أوَّل ما يثيرُ تعجُّبكم، وفيه توبيخٌ لهم؛ لأنَّهم يجعلون أولى ردّات فعلهم للقرآن تعجُّبًا وسخرية؟.

الغرض من التعبير باسم الإشارة الدّالّ على القريب ﴿هَٰذَا﴾:

التَّعجُّبُ من القرآن أو الإنذار الحاضر الواضح العظيم يُكثِّفُ توبيخ المشركين

الإشارةُ بـ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، إلى ما ذكرَ من الإنذار بأخبار الذين كذَّبوا الرسل[1]، أو القرآن، أو قوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾، فإنَّهم كانوا يتعجَّبون من حشرِ الأجساد وجمع العظام بعد الفساد[2]، وفي استعمالِ القرآن اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾، الدّال على القربِ تنبيهٌ للسامع على أهمّيَّة المشار إليه، وأنَّه حديثٌ عظيمُ الشأن حاضرٌ واضحٌ لا غموضَ فيه، واستبعادُ التَّعجُّب منه، ممّا يُكثِّفُ التوبيخَ واللومَ على المشركين.

سرُّ إيثار لفظ ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ معرَّفًا:

حديثٌ معجزٌ في متابعته لِما يتجدَّد من الوقائع والحاجات

آثرَ البيانُ القرآني لفظَ الحديث في التعبير عن القرآن، في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ دون لفظِ الكلام أو الخبر؛ للإشارةِ إلى إعجازه في متابعته لِما يتجدَّد من الوقائع والحاجات، وآثرَ أن يأتي به معرَّفًا بـ(الـ) العهدية؛ ليبيِّن أنَّ المقصودَ هو القرآن الكريم نفسه، الكلام المفصل الواضح المبين، وليس مجرَّد كلام عام أو حديث عابر، وليؤكِّد على القدر والمكانة، فـ (الـ) تُبرزُ عظمةَ الكلام وخصوصيته، والمعنى: أفتنكرون هذا القول العظيم، الذي يأتيكم على سبيلِ التَّجدُّد، بحسب الوقائع والحاجات[3]، كما أنَّ التَّعبير بلفظ الحديث عن القرآن؛ ليشملَ مع القرآن كاملًا ما سبق من الحديث عن القيامة؛ إذ يحتملُ أن يُراد بالحديث المشار إليه قوله: ﴿أَزِفَتِ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 287.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 82.

ٱلْآزِفَةُ﴾، فإنَّهم كانوا يتعجَّبون من حشر الأجساد، وجمع العظام بعد الفساد[1]، أو ما ذُكِر من الإنذار بأخبار الذين كذَّبوا الرُّسل[2].

الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾:

الإنكارُ الموجَّه للمشركين مقصورٌ على إنكارهم لهذا الحديث

تقديمُ الجار والمجرور، وهو ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، على الفعل ﴿تَعْجَبُونَ﴾، فلم يقل: (أفتعجبون من هذا الحديث؟)؛ لأنَّ محطَّ الإنكار ليس هو فعل العجب، وإنَّما هو كون الحديث المشار إليه - وهو آياتُ القرآن - هو المتعجَّب منه[3]، ولإفادة القصر، أي: الإنكار الموجَّه للمشركين مقصورٌ على إنكارهم لهذا الحديث؛ إذ في غيره يمكن أن يكون لهم فيه عذرٌ أو شبهة، أي: هذا الحديثُ ليس أهلًا لأن تُقابلوه بالضَّحك والاستهزاءِ والتَّكذيب، ولو قابلْتُم بفِعلِكم كلامًا غيرَه؛ لَكان لكم شُبْهةٌ في فِعلِكم، فأمّا مُقابلتُكم هذا الحديثَ بما فعَلْتُم، فلا عُذْرَ لكمْ فيها[4].

دلالة التعبير بالمضارع المسند إلى واو الجماعة ﴿تَعْجَبُونَ﴾:

تجدُّدُ إنكارِ المشركين لآياتِ القرآن دليلٌ على شدَّة طغيانهم

آثرَ البيانُ القرآنيُّ صيغةَ المضارعة في قوله ﴿تَعْجَبُونَ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ هذا السلوك - وهو الإنكارُ والسخرية من القرآن - يتكرَّر من المشركين، ولم يفعلوه مرَّة واحدة، وهذا يدلُّ على شدَّة عتوِّهم وكفرهم.

بلاغة التعبير بالكناية في: ﴿تَعْجَبُونَ﴾:

استبعادٌ من المشركين وإحالةٌ وإنكارٌ لآياتِ القرآن

العجبُ هو الشعورُ بالدهشة والغرابة تجاهَ هذا الحديث، ولكن لفظ ﴿تَعْجَبُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾، لا يعني الدَّهشة، وإنَّما هو كناية عن الاستبعاد والإحالة، كقوله:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 287.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 190.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 161.

﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [هود: 73]، أو كنايةٌ عن الإنكار لآيات القرآن[1]؛ لأنَّ العجبَ لا يكون إلّا من الأشياء غير المألوفة[2].

دلالة العطف بالواو في ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾:

جمعُ المشركين بين إنكارهم القرآن والاستهزاء به دليلٌ على شدَّة ضلالهم

لفظ ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿تَعۡجَبُونَ﴾[3]؛ للدَّلالة على شدَّة ضلالهم وطغيانهم، فقد جمعوا بين إنكارِ القرآن رغمَ أنَّه في غايةِ ما يكون من ترقيقِ القلوب والاستهزاء به؛ لأنَّه قد يمسك المنكر نفسه عن الضحك، ولكنَّهم لم يفعلوا ذلك[4].

دلالة العطف بالواو: ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾:

في العطف دلالة على بلوغ الكافرين الغاية في الإعراض

عطْفُ ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾ على ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾، يفيدُ أنَّ الكافرين جمعوا بين الضحك من القرآن، وما أُنذروا به استهزاءً، وعدمِ البكاء خشوعًا وتأثُّرًا، بما يدلُّ على أنَّهم بلغوا الغاية في الإعراضِ عن الحقِّ.

دلالة النفي بـ(لا) والتعبير بالمضارع مسندا:

تجدُّدُ عدمِ تأثُّر الكافرين بالقرآن والنُّذر يفيدُ قسوةَ قلوبهم وشدَّةَ غفلتهم

(لا) أداةُ نفيٍ تدخلُ على الفعل المضارع المفيد للتجدُّد الحدوثي، وقد أفادتْ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾ تجدُّد عدمِ بكاءِ الكافرين خوفًا من الوعيد الَّذي اشتملَ عليه، وحزنًا على ما فرَّطتم في شأنه، وخوفًا من أنْ يحيقَ بكم مثل ما حاقَ بالأمم المذكورة هنا، وهذا التجدُّدُ يفيدُ قسوةَ قلوبهم وشدَّةَ غفلتهم.

بلاغة التعبير بالطباق بين ﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾، و﴿تَبۡكُونَ﴾:

مبالغةٌ في توكيدِ إعراضهم عن الحقِّ

في الآية محسِّنُ الطباق؛ إذ جمعَ بين الضحكِ والبكاء، وفي نسبةِ ضحكِ الاستهزاء من القرآن، وممّا جاء به النبي ﷺ ونفي ضدِّه،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 160.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 190.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 369.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 82.

وهو البكاء، فلا يبكون خشية من الله تعالى ومن سماعِ ما اشتمل عليه هذا القرآن من وعد ووعيد؛ مبالغةٌ في توكيد إعراضهم عن الحقِّ.

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَأَنتُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ إمّا استئنافية، والجملةُ بعدها مستأنفة، أي: أخبرَ الله تعالى عنهم بأنَّهم سامدون، أو حاليَّة، والجملةُ حالٌ مِن فاعلِ ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، أي: انتفى عنكم التباكي حالَ كونِكم سامدين[1]، وفي الحالِ تصويرٌ للحالة الراهنة للمشركين، وهم في وضعِ السَّمْد المستمرِّ تجاه الحقِّ والدعوة، في لحظة مخاطبتهم بالوعد والعقاب، ممّا يُبرز استكبارهم وتماديهم.

إخبارٌ بأنَّ المشركين سامدون أو تصويرٌ لحالتهم هذه

دلالة التعبير بـ ﴿سَٰمِدُونَ﴾ مادة وصيغة:

آثرَ البيانُ الحكيمُ لفظ ﴿سَٰمِدُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾؛ لكونه أوسعَ دلالةً؛ فقد ذكرَ المفسرون من السلف لها معانٍ عديدة منها: لاهون عمّا فيه من العِبَر، ومعرضون عن آياته كِبرًا وغِضابًا مُبَرْطِمينَ، أي: شامِخين ومغنّين ولاعبين، وهي لغة أهل اليمن، ومستكبرين وغافلين، ولا ريبَ أنَّ كلَّ ذلك ممّا كان يصدرُ عن المشركين[2]، ولو عبَّر بأحد هذه المعاني؛ لاقتصرَ عليه.

اتحادُ الكافرين في رفضِ الحقِّ بأشكاله يزيدُ من قوَّة توبيخهم

وذكر لفظ ﴿سَٰمِدُونَ﴾ باسم الفاعل المفيد للثبوت والدوام؛ لأنَّ الغفلةَ والانشغالَ باللّهو والترف والتكذيب والكبر والتشويش على القرآن دائمةٌ، وأمّا الضحكُ والعجب؛ فهما أمران يتجدّدان، ويعدمان[3].

وجاءتْ صيغةُ الجمع متناسبةً مع أسلوبِ الخطاب الذي هو بصيغة الجمع، مثل: ﴿تَعْجَبُونَ﴾، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، ﴿وَأَنتُمْ﴾، ﴿فَٱسْجُدُواْ﴾، ولإفادة شموليَّة التوبيخ لجماعة المشركين كلِّهم، ولإفادة

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 116.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 84.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 287.

كثرةِ الفاعلين واتِّفاقهم على التَّكبُّر والاستهزاء بالقرآن الكريم، واتِّحادهم في رفضِ الحقِّ، ممّا يزيدُ من قوَّة التوبيخ.

معنى الفاء ودلالتها في: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾:

من شأنِ التوبيخ أن يكفَّ العاقلُ عن البطَرِ والاستخفافِ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾، إمّا تفريعٌ على الإنكار والتَّوبيخ المُفرَّعَين على الإنذارِ بالوعيدِ، فُرِّعَ عليه أمرُهم بالسُّجود لله؛ لأنَّ ذلك التَّوبيخ من شأنه أن يؤثِّر في قلوبِهم، فيَكفَّهم عمّا هم فيه من البطَرِ والاستخفافِ بالدّاعي إلى اللهِ، ويخضعوا للملك الأعظم[1]، أو ترتيبٌ وتفريعٌ على ما تقرَّر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار[2]، أو فصيحة، أي: إن تدبَّرتم هذا كلَّه، ووعيتموه حقَّ الوعي؛ فاسجدوا[3].

دلالة الأمر المسند إلى واو الجماعة: ﴿فَٱسۡجُدُواْ﴾:

أمرٌ حقيقيٌّ للمشركين بالخضوع لله والكفِّ عن تكذيبِ رسوله

مقتضى تناسق الضمائر أنَّ الخطاب في قوله: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾، موجَّهٌ إلى المشركين، وهو أمرٌ حقيقيٌّ لهم بالخضوع لله والكفِّ عن تكذيبِ رسوله وعن إعراضهم عن القرآن؛ لأنَّ ذلك كلَّه استخفافٌ بحقِّ الله، وكان عليهم لَما دُعوا إلى الله أن يتدبَّروا، وينظروا في دلائل صدق الرسول والقرآن[4]، "ويحتملُ أنْ يكون الأمرُ عامًّا، ويحتملُ أن يكون التفاتًا، فيكون كأنَّه قال: أيُّها المؤمنون اسجدوا شكرًا على الهداية، واشتغلوا بالعبادة"[5]، ويتضمَّنُ هذا الأمر الدوامَ على الخضوع لله، أي: اخضعوا خضوعًا كثيرًا لله الملك الأعظم[6]؛ لأنَّ الأمرَ يقتضي التكرار، وتشيرُ صيغةُ الجمع فيه على مخاطبةٍ جماعية لكلِّ المخاطَبين، وعلى شموليَّة العبادة والخضوع لله.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 85، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 161.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 180.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 369.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 161.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 287.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 85.

بلاغة التعبير بالكناية في لفظ السجود:

السجودُ فعلٌ يُعبَّرُ عن التسليمِ الكامل لله

أمْرُ اللهِ للمشركين بالسجود، في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾، كنايةٌ عن الأمْرِ بأن يُسلِموا؛ لأنَّ الصَّلاةَ شِعارُ الإسلامِ، وهذا باعتبارِ المراد من السُّجود في الآية سُجود الصَّلاةِ لا الخضوع[1].

معنى اللام ودلالتها في ﴿لِلَّهِ﴾:

السجودُ لا يكون إلّا لله

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ للاختصاص، والمعنى: خصّوا اللهَ بالخضوع له لا لغيره، أي: أمرٌ بالسجود لله خصوصًا؛ ليدلَّ ذلك على فضله، وأنَّه سرُّ العبادة ولبُّها، فإنَّ لبَّها الخشوعُ لله، والخضوعُ له، والسجودُ هو أعظمُ حالةٍ يخضعُ بها العبد[2].

سرُّ التصريح باسم الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾:

تعظيمٌ وتفخيمٌ لشأن المأمور بالسجود والعبادة له

صرَّحَ القرآنُ بالاسم الجليل في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾، ولم يقلْ: فاسجدوا له؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأنِ المأمور بالسجود والعبادة له، أي: اسجدوا للملك الأعظم[3]؛ لأنَّ الاسمَ الجليل يحملُ في ذاته كلَّ صفاتِ الكمال والجلال، كما أنَّه يوقظُ في السامع رهبةً وخشوعًا، وهو ما يتناسبُ مع مقامِ الأمر بالسجود، وهو أسمى مظاهر العبودية، ولتحقيق كمالِ التناسب مع أول السورة، التي بدأتْ بإبرازِ سلطانه بضمير الغائب، فناسب أنْ تُختم بالاسم الصريح.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَٱعْبُدُواْ۩﴾:

من خضعَ لله حقَّ الخضوع؛ عبَدَهُ حقَّ العبادة

عطفَ البيانُ القرآن الأمرَ بالعبادة على الأمرِ بالسجود، في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾؛ لأنَّهم إذا خَضَعوا له حَقَّ الخُضوعِ، عَبَدوه، وتَرَكوا عِبادةَ الأصنامِ، وقد كان المشركون يَعبُدون الأصنامَ بالطَّوافِ حوْلَها، ومُعرِضين عن عِبادةِ اللهِ، أو واعبدوه العبادةَ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 161.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 822.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 85.

الكاملة، وهي التي يُفردُ بها؛ لأنَّ إشراكَ غيره في العبادة - التي لا يستحقُّها إلا هو - كعدم العبادة؛ إذ الإشراكُ إخلالٌ كبير بعبادة الله، قال تعالى: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: 36][1].

دلالة الأمر المسند إلى واو الجماعة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾:

خَـتْـمُ الـسـورة بالأمر بالعبادة؛ لأنَّ آخـرَهـا نتيجةُ أوَّلِـهـا، ومُفَصَّلَها ثمرةُ موصَلِها

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾ أمرٌ حقيقيٌّ لهم بعبادة الله الكاملة الَّتي لا يشوبها شيء من الشرك، ومنها اتِّخاذ الأصنام شركاء لله، وهو أمرٌ يفيدُ الاستمرار والدَّوام على العبادة، وصيغةُ الجمع فيه تفيدُ شمولية العبادة لله، أي: اعبدوه بكلِّ أنواع العبادة، فإنَّه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ [النجم: 2] عن الأمر بذلك ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: 2]، وختمُ السورة بهذا الأمر يظهرُ أنَّ آخرَ السورة نتيجةُ أوَّلِها، ومُفَصَّلَها ثمرةُ موصَلِها[2].

الغرض من حذف متعلَّق ﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾:

العـبـادةُ في الحقيقة لا تكونُ إلّا لله

حذفَ البيانُ الحكيم متعلَّق ﴿وَٱعۡبُدُواْ﴾، فلم يقلْ سبحانه: (اعْبُدوا الله)، إمّا إفادةَ عموم العبادة، أي: أمرَ بالعبادة عمومًا، الشاملة لجميع ما يحبُّه الله، ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة[3]، أو لكونه معلومًا من السياق، فحُذِفَ اختصارًا، وإمّا لأنَّ العبادة في الحقيقة لا تكونُ إلّا لله، فقال: واعبدوا، أي: ائتوا بالمأمور، ولا تعبدوا غيرَ الله؛ لأنَّها ليستْ بعبادة، وهذا يناسبُ سجدةَ التلاوة في الآية عند قراءته مناسبةً أشدَّ وأتمَّ ممّا إذا حملناه على العموم[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السُّمود واللّهو والغفلة:

المـشـركـون معرضون لاهون غافلون يتغنّون غـيـر مـكـترثـين بما جاءهم من القرآن

السُّمودُ لهوٌ مصحوبٌ بغناءٍ مع استهتارٍ وغفلة واستكبار؛ إذ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 161.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 85.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 822.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 287.

السُّمودُ هوَ اللّهوُ، وسَمَدَ: غَنَّى، وسمدَ سمودًا: قام رافعًا رأسه، ناصبًا صدره، كما يَسْمُد الفحل؛ إذا هاج؛ لأنَّ المغنّي يرفع رأسه، وينصب صدره، فالسّامِدُ: اللّاهي الرّافع رأسه[1]، بينما اللّهو انشغالُ الإنسان عمّا يعنيه، ويُهمُّه، أي: شغلٌ عن شيءٍ مهمٍّ بشيء لا فائدةَ منه[2]، وأمّا الغفلةُ؛ فهي سهوٌ يعتري الإنسانَ من قلّة التَّحفُّظ والتَّيقُّظ[3]، وربَّما كان عن عمدٍ، إمّا لانشغاله بغيره، أو تركه إهمالًا وإعراضًا[4]، وقد استعملَ البيانُ القرآني هنا لفظ سامدون؛ لكونه أبلغَ في الذَّمِّ وأدلَّ على أنَّ المشركين رغمَ كلِّ ما جاءهم من المواعظ معرضون مستغلظون، راكبون رؤوسهم في الباطلِ لاهون غافلون، ويتغنّون غيرَ مكترثين بما جاءهم من القرآن.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سمد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (لهو).
(3) الراغب، المفردات: (غفل)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 140.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح المنير: (غفل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"